نزار قباني بين الغرب والشرق

Nizar Qabbani between the West and East

موفق رياض مقدادي محمد محمود العمرو

جامعة العلوم الإسلامية العالمية / طارق، طبربور

كلية الآداب والعلوم / قسم اللّغة العربية وآدابها

عمان /الهاشمية الأردنية

الملخص

لقد تناول البحث صورتين من صور الحياة الاجتماعية في العالم الإنساني من خلال الشاعر العربي الكبير نزار قباني، فأشارت الصورة الأولى إلى الحياة الاجتماعية المنبثقة من الحياة الغربيّة النصرانية ، فكانت هذه الحياة (من وجهة نظر نزار قباني) مثالاً للحرية والرقي،والحياة الأخرى صورة الشرق بقيمه ومبادئه المنبثقة من رموز الحكم والقوة، وكانت مثالاً للتخلف والرجعية، و للوصول لحياة اجتماعية وإنسانية مرجوة، فقد دعا نزار قباني إلى التجديد في القيم والعادات والتقاليد.

الكلمات المفتاحية: نزار قباني – الغرب – الشرق

Abstract

This research handled two forms of social life in the human world through the Arab poet *Nizar Qabbani*, The first image noted to the social life emanating from the Christian, this life was an example of freedom and progress, and the other life image of the East values and principles emanating from the symbols of power and strength, and was an example of backwardness and reactionary, and to reach out for a life of a social and humanitarian desired, he had called for a renewal of values customs and traditions.

Words key ; Nizar Qabbani - West - East

المقدمة:

يعد الشاعر نزار قباني من أكثر الشعراء المعاصرين دراسة وبحثاً من الدارسين، وذلك لغزارة إنتاجه أولاً، ثم لجرأته على مواضيع ما كان أحد سواه يجرؤ عليها من قبل، كالدعوة إلى تحرر المرأة بطريقة تشبه الطريقة الغربية، وهو بذلك لا يعارض المجتمع العربي بعاداته وتقاليده وحسب، وإنما يقف بشكل مباشر أمام مجتمع له مبادؤه وأفكاره متحدياً له، مطالباً بتغيير المفاهيم التي تدعو إلى عدم السفور والاختلاط.

لقد تناول هذا البحث حقيقة الحرية عند نزار بمفاهيمها عند الغرب وافتنانه بها، والرجعية عند الشرق بقيمه ومبادئه وديانته الواحدة وجنسياته المختلفة مبدياً رأيه بممثليه من الخلفاء، مبتدئاً بالخليفة العباسي هارون الرشيد، ومنتهياً بالأب الذي يمثل رب الأسرة الصغيرة (البيت)، وبذلك يكون نزار قباني قد وضعنا أمام مجتمعين الأول غربي بأفكاره وديانته، وآخر شرقي بمبادئه وعاداته وديانته.

صورة الغرب النصراني

عرف عن الشاعر نزار قباني أنه شاعر المرأة الناطق باسمها، المعبر عن أحاسيسها، اللاهج بدواخلها ومكنوناتها، وقد ظهرت هذه الصفات كلها بشعره، وهذا ليس بغريب على الشعراء عامة، ولاسيما في باب الغزل، فالإنسان مفطور على حب المرأة والتغني بها، وهذا التغني موجود لدى أكثر الشعراء عرباً كانوا أم غير عرب،لكن العجيب عند نزار أن تجده يمجد الدين الذي يدعو إلى ما يدعو إليه ، وينتقد دينه الذي يحدد العلاقة بين الرجال والنساء، تحت باب الحلال والحرام، وكثيراً ما نجده يجسد الثورة بصورة الخليفة الذي يجلس لحياة العبث والتنعم بالنساء والسبايا دون أن يلتفت إلى إنسانية المرأة، وأنها كيان له أحاسيسه وعالمه الخاص حتى أنّ صورة الإسلام التي يمثلها الخليفة أصبحت تحمل معنى التخلف في حين أن الغرب النصراني يحمل معنى الحرية والإبداع، وهذا يعني تغليب دين على دين،"وإذا كان لهذا القول معنى، فمعناه أن أدباء المذهب الجديد يريدون تغليب الديانة المسيحية على الديانة الإسلامية"[1]. وهذا واضح من خلال ما عثرت عليه من أشعار نزار قباني، فالديانة المسيحية بالنسبة له دين الحرية المطلقة غير المقيدة بقيد أو مشروطة بشرط.

عرف عن الشعراء عامة تفلتهم من القيم الدينية والأخلاقية وهذه سمة عامة للشعراء، فالله عز وجل أنزل في كتابه العزيز سورة اسمها "الشعراء " وقد فصّل فيها حال الشعراء وطبيعتهم، واستثنى منهم المؤمنين، والاستثناء يدل على القلة ليعطينا صورة واضحة عن طبيعة الشعراء وأحوالهم[2] ومع ذلك فإن الشاعر وإن مجن في شعره إلا أننا نجده في موقف الاستثارة يلتفت إلى دينه وتاريخه، فالتاريخ عند نزار بماضيه أبيض أحياناً إلا أننا لا نجد بياضاً للخلفاء، بل البياض للمسيحية التي تلبي بحريتها رغبات الشباب وطموحاتهم[3]، فالشعراء في هذا الباب – لا أريد القول إنّهم تحدثوا عن النصرانية من باب التبشير بالنصرانية على حساب الإسلام– وإنما يريدون إسلاماً نصرانياً يمدهم كشعراء برغباتهم، ويبقيهم على الدين الذي كان له بتاريخهم صفحات ناصعة[4].

أخذت النصرانية صورة عدة عند نزار قباني، فمن الصدق والبراءة إلى الهدوء والسكينة، ومن الملاحظ أن جميع الصفات التي يعطيها نزار للنصرانية تتفق مع منهجه في الحياة، وهو تغيير الشرق والمرأة الشرقية إلى غربية تعطي نفسها ولحبيبها دون قلق، وهذه دعوته المطلقة.

يقول نزار: [5]

أهواك مذ كنت صغرى.

كصفحة.. الإنجيل

لقد جعل نزار قباني في صورته السالفة أن الطفولة بمعانيها الصادقة، بحريتها، تعبر عنها صورة من المتوقع أن تكون واضحة عند الناس لا يكاد أحد ينكرها إنها صورة الإنجيل، فالطفولة بريئة لا حدود فيها للمنع أو الاستهجان، وهذه هي طبيعة الحياة الإنجيلية عند

الغرب، فلا حدود عندهم أو فواصل في العلاقات، فالكل إنسان ذكر كان أم أنثى، فهم يعيشون مع بعضهم كما يعيش الأطفال عندنا من حرية، وهذه هي الحرية المنشودة عند نزار التي تجعله يبدو وكأنه أعرف من الغرب بصفات الإنجيل المشبه به.

ونجده ينطلق مع محبوبته بعد إنجيله الأبيض إلى الصلاة المسائية التائبة لتصبح القرية بهدوئها راهبة يقول[6]:

قفي كستنائية الخصلات...
معي في صلاتي المسائية التائبة
نر الليل يرصف نجماته
على كتف القرية الراهبة.

إن القارئ لهذا الشعر يظن أولاً أن هذه الأشعار لشاعر ليس مسلماً، وهذا ربما نابع من طبيعة الحياة الغربية التي بهرت شباب العرب في القرنين المنصرمين، فالصلاة مسائية وصفة المساء الهدوء و السكينة، وهذا الهدوء ممثل بصورة جديدة إنها القرية التي تحمل الصفة نفسها وقد جعل هذا الهدوء وهذه السكينة تاجا على رأس القرية الراهبة.

إذاً هذا هو الغرب الذي نهل من معين ثقافته معظم المثقفين العرب، من بعثات محمد علي باشا في مطلع القرن التاسع عشر[7] إلى وقتنا الحاضر.

إن الملاحظ على نزار أنه يجعل من التشخيص مادة لأفكاره التي يصوغها بكلام شعري يعبر عن فتنته بالغرب ، يقول[8]:

وفي جسر الدير يبكي... ويبكي
وفي الشوح في ناره اللاهبة.

إن الدير مكان لغسل الخطايا، لما يمثله بالنصرانية من مكان عبادة، يهرع إليه النصراني حينما تضيق به الدنيا فيتحلل من أثقالها، ومن أثقال نفسه، فيعود طفلاً، يشكو إلى الله ويبكي متبتلاً عله يرتاح،و من الملاحظ على الشاعر أنه جعل بعد كلمة يبكي الأولى نقاطاً توصله بعطف إلى بكاء، فكان الجسر ينقل من بكاء إلى بكاء في ظلمة الحياة القاسية، وكأن الدير جسر ينقلك من حياة إلى أخرى، ويشير هذا المعنى إلى الخوف الحقيقي، وإلى الصدق والخوف ممثلين بدمعة الراهبة، يقول[9]:

أحبك حرفاً ببال الدواة
وفي الله.. في دمعة الراهبة

إن صورة النصرانية ملتصقة بالحب الذي يمهد له نزار ليصبح الطعام والشراب اللذين يقتات عليهما المجتمع والغريب في الأمر أولاً أن هذه الصورة مستخدمة في التراث الإسلامي، ففي الحديث الشريف يقول الرسول- صلى الله عليه وسلم-: "عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشيت الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله"[10]، وحتى في عطفه الحب على الله عز وجل وجدناه يبعد، وكأنه يهرب من لفظ الجلالة التي يكون بها الحب مباحاً في شروط معينة إلى دمعة الراهبة التي تمثل صورة النصرانية، كي لا يذهب ظن القارئ إلى الحب الشرعي المعروف الذي يحرّم الحب الذي يريده نزار قباني، كقوله تعالى: "ولا متّخذات أخدان"[11].

وتتضح صورة الصليب عند نزار قباني حينما يجعل الإغراء مضافاً إلى الصليب، ويجعل الصليب مشكلاً من خصلتي زهر، وتكون وظيفة الشفاه مسح هذا الصليب، يقول: [12]

يا صليب الإغراء.. من خصلتي زهرٍ
شفاهي لمسح هذا الصليب

تجسّد صورة الصليب جميع أشكال الحياة التي ينادي بها نزار، إلى أن أصبح هذا الصليب معادلاً موضوعياً لطبيعة التحرر من القيم الإسلامية ، ولا أظن أن نزاراً أخطاء حينما اختار هذا المعادل؛ لأن حياة الغرب مثال للتحرر، مما نسميه نحن في مجتمعاتنا الشرقية الإسلامية حراماً أو عيباً، وتتماشى فكرة ربط الصليب بالإغراء مع نظرته للنصرانية الجميلة ببساطتها وسهولة تجددها[13].

إن من ميزات هذا الصليب الذي يمسح عليه بشفاهه حرصاً على بقائه، أنه يحميه بأغلى ما يملك إنه الفم مصدر الكلم، وموطن الإلهام، وهذا الموطن جعله نزار صومعة، فالصومعة عند النصارى مكان ذكر الله، أما صومعة نزار فهي موطن ذكر الجمال الإغراء كما أسلف، يقول[14]:

كأنها الآن لم تذهب حلاوتها
ولا يزال شذاها ملء صومعتي

إن جمال لمس الشفاه لصليب الإغراء ما زال يسيطر بحلاوته على فكر نزار،وعلى أشعاره، حتى بات وكأن روحه راهب تسكن في هذا الجسد الذي يشبه الصومعة.

وليؤكد الشاعر على فكرته من العكوف على العشق، وتوضيح جمالياته، فإنه يربط بين صورتين متقاربتين في الشكل مختلفتين في المضمون، يقول[15]:

أنقطة نور بين نهديك ترجف
صليبك هذا.. زينة أم تصوف

لقد ربط الشاعر الصليب بالنور والنور مصدر الهداية ،ثم تساءل: صليبك هذا زينة ،أي هو خال من المضمون أم له معنى؟ وجعل المعنى فيه إسلاميا، إنّه التصوف، والتصوف الإسلامي يتفق شكلاً مع النصرانية من حيث العكوف على عبادة الله ويختلف مضموناً من حيث التوحيد.

إن الصليب نور يضعه نزار قباني على مواطن الفتنة التي تثير الشرقي، وتجعله يندفع ليعبر عن جمالها بشكل فطري، و بطريقة لم تكن مألوفة من قبل ولا مرضي عنها في مجتمعه، وكأني به يريد أن يقول :إذا أردت أن تتقدم، فاجعل هاديك للتقدم هذا النور المنبعث من صدر المرأة النصرانية التي كانت في يوم من الأيام ملتزمة بنصوص الإنجيل فما طالها ومجتمعها منه إلا التخلف و الرجعية، وحينما كسر صليب التعصب الموجود في الدين من قواعد الحلال والحرام أصبحوا قادة للعالم الإنساني.

نعلم أن وظيفة النبي تخليص الناس وهدايتهم، وأن الناس إذا ما جاءهم نبي، فإنهم لا يصدقونه حتى تترسخ قاعدته الدعوية و يصبح له أتباع، والغريب أن المريد لا يرى من
صاحبته إلا الجمال الذي ينبغي أن يتبع، يقول[16]:

طلعت على عمري خيال نبيه
صليب و سلسال ثمين ومعطف
آذات الصليب الؤلؤي.. تلفتي
وراءك هذا المؤمن المتطرف
فلا تمنعي أجري.. وأنت جميلة
ولا تقطعي حبلي.. ودينك ينصف

.. على صدرك المعتز ينتحر الأسى
وتبرا جراحات المسيح وتنشف

لقد طلب الشاعر منها أن تأخذ بيد المسلم الذي نعته بصفة التطرف النابع من تعاليم الدين الإسلامي القائمة على مبدأ الحلال والحرام، جاعلاً دين الغرب منصفاً ومن المسيح المصلوب رمزاً لإنهاء حياة التطرف والتعصب وإنقاذ البشرية، ولعل هذا له صلة بالقهر الاجتماعي الذي لا يحتاج إلى كثير شرح وتعليل[17].

لقد بدت صورة الغرب بشكل متحضر متفتح، وهذا التفتح التقدم – حسب زعم نزار- نابع من تعاليم الديانة النصرانية المتحررة، أما الإسلام فقد بدت صورته من خلال نعته ذاته بالمؤمن المتطرف الذي يمثل التخلف والرجعية، و يظهر هذا أيضاً من خلال مناداته لصاحبته قائلاً لها لو كنت معي ليلة رأس السنة لذهبنا معا إلى الكنيسة، فهو يجمع بين الحرية المطلقة ممثلة بخروجها معه، والدين بذهابهما إلى الكنيسة، يقول[18]:

لو كنت في مدريد في رأس السنة
كنا ذهبنا آخر الليل إلى الكنيسة
كنا حملنا شمعنا وزيتنا
لسيد السلام والمحبة
كنا شكونا حزننا إليه
كنا أرحنا رأسنا لديه
لعله في السنة الجديدة
أيتها الحبيبة البعيدة يجمعني إليك بعد غربة
في منزل جدرانه محبة

يتحدث الشاعر عن صورة ملائكية لا تكون إلا في العالم العلوي،و يربط الشاعر هذه الملائكية بالديانة النصرانية، وكانت صورة المسيح كما هي معروفة في التراث النصراني مصدراً لها ،لما تمثله من راحة واطمئنان وتضحية، إنّ هذه الحياة المثالية النابعة من الدين قادرة على أن تجعل في الجدران محبة؛ لأنّها تمثّل حياة الحرية المطلقة مع العبادة، وكأني به يحاول أن يفصل الدين عن الأخلاق، وهذا موجود عند الغرب، فالدين بالكنيسة والأخلاق والسلوكيات خاصة بالأفراد، وعلى كل حال فالمسيح يغفر للمذنبين، أما الشرقي فإنه مثال العصبية وعدم المغفرة، يقول[19]:

أنا لست أغفر كالمسيح
ولن أدير إليك خدي

تمثل الصورة النصرانية المشكّلة من المسيح-عليه السلام- كلّ معاني الإنسانية،وذلك لما تحمله من معاني التسامح والمغفرة، أما صورة المسلم فإنّها على النقيض من ذلك، فالشرق نموذج للكبت بجميع أشكاله،و يصور نزار هذا الكبت من خلال الالتزام باللباس الشرعي ، ويوضح ضيق المرأة به، يقول: [20]

أنا نهداي في صدري

كعصفورين قد ماتا من الحرّ
كقديسين شرقيين متهمين بالكفر
كم اضطهدا.. وكم جُلدا
وكم رفضا مصيرهما
وكم ثارا على القهر

يستمد الشاعر أحياناً معانيه التي يمدح بها النصرانية من خلال تعنت الشرق وتحجره، فهو ينادي بأن تطلق الغرائز وتتحرر النفوس من الأخلاقية الشرقية والإسلامية، وهذا يتضح من خلال صورة العصفورين اللذين ماتا من شدة الحر الناتج عن اللباس الشرعي، ثم صورة القديس الشرقي المتهم بالكفر، المتعرض للاضطهاد والجلد، والتاريخ الإسلامي ينفي اضطهاد النصارى من قبل المسلمين بل كان الإسلام هو الدين الذي حفظ لأصحاب الديانات الأخرى حرياتهم.

ساد في المجتمعات الإسلامية نظام عدم الاختلاط، الأمر الذي أدى إلى إثارة الحساسيات في التعامل مع المرأة، فمن هذه الحساسيات أولاً توالد الشوق الذي كان بين الجنسين، والثاني عدم انشغال أحدهما بالآخر ولا سيما المرأة إلا برباط مشرع، فحينما سافر العرب لبلاد الغرب و رأوا كيفية التعامل بين الرجل والمرأة تاقوا إلى بلاد إسلامية شكلاً ونصرانية مضموناً؛لأنهم يريدون حياة التفلت، وها نحن نرى نزار وهو يعبر عن هذا الإحساس حينما يقول : جارتنا النصرانية تحييني فلو كانت مسلمة ما حيته؛لأنّ هذا من المحرمات شرعاً، يقول [21]:

خرجت اليوم للشرفة
على الشباك.. جارتنا مسيحية
تحييني
فرحت لأن إنساناً يحييني
لأن يداً صباحية
يداً كمياه تشرين
تلوح لي تنادين

ربما كان سر فرح نزار أن هذه اليد المسيحية التي ارتفعت لتحييه كانت يداً تلوح بنهار جديد، بحياة جديدة، وهذا الذي كان يسعى إليه نزار، فاليد صباحية ونعلم أن الصباح يمثل ولادة يوم جديد من عتمة مجهولة، وهذه اليد كمياه تشرين والمياه رمز للحياة، وتلوح لي بالأمل بأن الفرج قريب، وينهي حديثه بأمنية، وهي أن يكون فمه كنيسة وأحرفه أجراس، يقول[22]:

أود لو كان فمي كنيسة
وأحرفي أجراس

ففمه كنيسة بما فيها من عدم التزمت والمسامحة، وأحرفه أجراس تقرع الأسماع، فتثير فيها حماسة التغيير، والتحول إلى ما يريده نزار.

شرق القهر والظلم

نحن قلنا إن هدف نزار ممثل بتحرر المرأة، والتحرر عنده يعني عدم التبعية المفرطة لأي شخص حتى وإن كان الأب أو الأخ، لهذا وجدناه يدعوا المرأة إلى قول (لا)؛ لأن هذه اللفظة تعني سر الحرية، وأن يفعل الإنسان ما يحب هو لا ما يحب سواه، وأن يستقي أفكاره من ذاته لا يلقّنها من سواه، وكل هذا القول يعني أن المرأة مأزومة في بلاد الشرق الإسلامي(من وجهة نظر نزار ومن شاكله بهذه الأفكار)، وهذه الأزمة ربما سلك طريقها نزار قبل أن تبوح بها النساء، فهو صداها المدوي في جنبات العالم العربي الإسلامي المتهم بالسيطرة على المرأة وقهرها[23]، فالشرقي أولاً مثال للظلم والقهر، ثم هناك رمز عند نزار للظلم إنه الخليفة بجواريه، وقد ترك الخليفة العباسي هارون الرشيد باباً يدقه نزار ويتهمه من خلاله بالعبث بالمشاعر[24]، ثم حبس الأنفاس إن كانت المرأة أختاً أو بنتاً بدافع الغيرة، ويحط رحله عند آخر الخلفاء العثمانيين عبد الحميد ليتهمه بنفس ما اتهم به سابقة من الخلفاء الإسلاميين.

إن معنى اتهام الخلفاء خاصة وهم رموز الإسلام ثم المسلمين العرب عامة، ربما يحمل في ثناياه معنيين، الأول أن الإسلام دين كبت الحريات كما يراه الغرب، ونقله مثقفو العرب، والثاني أن هذه التهمة تمتد لتصل المسلمين وسواهم من الشرقيين، يقول: [25]

وكان في بغداد يا حبيبتي في سالف الأزمان
خليفة له ابنة جميلة
تقول شهرزاد
"وانتقم الخليفة السفاح من ضفائر الأميرة
فقصها ضفيرة.. ضفيرة"

لقد كانت بغداد عاصمة الخلافة العباسية الإسلامية، وكان هارون الرشيد مثالاً يذكر بذكر الدولة العباسية لما يتمتع به هذا الرجل من قوة سياسية وعسكرية، ونعلم إقصاءه الفرس عن الوزارة بل ونكب البرامكة، ومنع الشعراء من ذكرهم، فأدى ذلك إلى سخط الفرس عليه، فنجد أبا الفرج الأصفهاني الفارسي الأصل حينما يذكر الخليفة هارون الرشيد، إنما يصور ملكاً عابث لا يهتم إلا بجمع الجواري في قصره.

و يستغل الشاعر الصورة المشوهة للخليفة هارون الرشيد والتي تخدم توجهه في هذه الفترة، ليبين من خلالها أن الرجل الشرقي يبيح لنفسه العشق والتمتع بالنساء، ويحرم ذلك على المرأة التي تعامل معاملة الجارية حتى وإن كانت أميرة فإذا خرجت عن القاعدة الموضوعة لها حبست، بل حسبما يقول نزار فإنه ينتقم منها في رمز من رموز أنوثتها، وذلك بقص ضفائرها، ويقوي هذا التفسير قوله في موضع آخر متسائلاً: [26]

أين السبايا ؟ أين ما ملكت يدي؟
أين البخور يضوع من حجرتي؟
مأساة هارون الرشيد مريرة
لو تدركين مرارة المأساة

إن الاستفهامات المتكررة في البداية، ربما كانت تشير إلى ضياع ما كان باليد من سلطة عليا، والاستفهامات الثلاث تشير إلى الجواري والتمتع بهن في غرفة تضوع منها الروائح والعطور، وربما هنا إشارة من الشاعر إلى انتصار الحياة التي يرنوا إليها، إذ لا يوجد هناك جواري بل نساء لهن ما للرجل وعليهن ما عليه؛ لذلك نجده بعد هذا الانتصار[27]، يقول: إن مأساة هارون الرشيد مريرة، وهنا يصرح تصريحاً باسم الخليفة هارون الرشيد لا يجعله من خلال رمز شهريار الذي يشبهه في التمتع بالنساء، و تتمثل مرارة هارون الرشيد بإنكار

سلطانه وانتهاء إرادته التي كان يفرضها على النساء. وهذه صورة مشوهة لهارون الرشيد رحمه الله لا تتناسب مع صورته الحقيقية:صورة الجهاد ، والحج وخدمة الحجاج ، رمز القوة العربيّة الإسلاميّة...

إذاً يمثل هارون الرشيد السلطة المطلقة على النساء من حيث الاستعباد والظلم، وهذا خليفة مسلم، يعلم أن ما يفعله داخل دائرة الحلال، فإن كان غير ذلك تركه إلى غير رجعة، والدليل من نزار نفسه فهو في استفهامه الثاني الذي يقول فيه "أين ما ملكت يدي؟ يتقاطع مع القرآن الكريم في قوله تعالى "ما ملكت أيمانكم"[28].

لقد بات هارون الرشيد بشخصيته رمزاً لكل رجل شرقي مستبد مستبيح للنساء، يدافع بضراوة عن حقوقه التي يملكها، ويخاف أن تضيع إذا ما علمت المرأة حقوقها،وعلى الرغم من ذلك فقد أخذت هذه الشخصية بعداً رمزياً مغايراً لهذه النظرة عند شعراء القضية الفلسطينية. [29]

ويمثل الخليفة العثماني عبد الحميد الثاني رمزاً ثانياً من رموز الظلم والاستبداد عند نزار في المجتمع الشرقي، يقول: [30]

ماذا أريد
يا وارثاً عبد الحميد
والنرجيلة المسلى تئن وتستعين
والشركسيات والسبايا حول مضجعه الرغيد
يسقطن فوق بساط جيداً فجيدا
وخليفة الإسلام والملك السعيد
يرمي ويأخذ ما يريد
لا.. لم يمت عبد الحميد
فقد تقمص فيكم عبد الحميد
حتى هنا
حتى على السرر المقوسة الحديد
نحن النساء لكم عبيد

يمثل نزار في هذه المقطوعة ثورة المرأة على رمز من رموز الشرق المسلم الذي لا يكترث إلا بمشاعره ورغباته، فالمخاطِب المرأة والمخاطَب الرجل الشرقي الذي ورث عبد الحميد بعاداته وتقليده برغباته وشهواته، إنه الرجل الذي لا يرتاح معه أحد ولا يكون مصدر راحة وحرية حتى للنرجيلة التي جعلها كسلى تئن من وقع ظلم شاربها، وربما جعلها كسلى من كسل صاحبها الذي لم يعد له عمل سوى الجلوس مع النرجيلة والنساء السبايا من البلاد المختلفة في بيت رغيد تتساقط فيه المرأة تلوى المرأة.

ويصور الشاعر مشهداً من مشاهد العبث الكبير بالنساء، فالخليفة لاه بالنساء يأخذ ما يريد ويترك ما يريد، والسؤال هل فعلاً كان الخليفة كما يراه نزار؟ولا سيما أنه أضاف إليه الإسلام، ليكون الخليفة رمزاً لجمع الجواري وتكديسها، وعطف الشاعر على الصفة الأولى صفة الملك السعيد ليعيدنا إلى صورة هارون الرشيد مع الملك شهريار، وبهذا يخرج الشاعر الخليفة وجميع الشرقيين من دائرة الفاعلية المؤثرة إلى دائرة البحث عن المتعة والشهوة، دون اكتراث بالأمة ومستقبلها؟ إن هذا ما يراه نزار لأجل بلوغ مراده، وهذا ليس بصحيح[31].

لقد جعل الشاعر المرأة تختم ثورتها بأن تقول إن عبد الحميد ممثل لجميع الشرقيين، فقد سكنت شخصيته بطموحاتها فيهم، فأصبحوا جميعاً ينظرون إلى المرأة نظرة الخادم المطيع والجارية المستملكة.

من الممكن أن يكون نزار قد تحدث عن الإسلام والمسلمين، عندما تحدث عن هارون الرشيد وعبد الحميد، لكن هل تحدث عن هذه الصفات عندهم من باب الإشارة إلى أخطائهم أم لهدف آخر؟

كلنا يعلم أن دعوة نزار كانت للتحرر والجزء الأول من البحث يدل على ذلك، فنزار يدعو لتلك الحياة التي ينتقدها عند الخلفاء، ولكنه ينتقدها من باب أنه هو محروم منها؛لأنهم يرفضون أن تكون النساء الحرائر كالجواري ،وهذا ما لا يريده نزار، فهو يرى من الخير أن تنتشر هذه الحياة المتحررة، ولا تبقى محرمة ؛ لهذا قدّم نزار الحياة النصرانية على حياة المسلمين، ممثلة بخلفائهم الذين أصبحوا بأفكارهم كالخشب الخاوي من الحياة والمشاعر، فهو يقدم الأموال لأجل قتل حب بين اثنين، فهو حقود جحود، يقول: [32]

وأعلن الخليفة الحقود
هذا الذي أفكاره من خشب
وقلبه من خشب
عن ألف دينار لمن يأتي برأس الشاعر
سيمسح الزمان يا حبيبتي
خليفة الزمان
وتنتهي حياته
كأي بهلوان

ينعت الشاعر الخليفة رمز الدولة المسلمة بالحقود، لماذا؟ ألأنّه يمنع حياة العبث التي تتطلع إليها النفس الإنسانية بفطرتها، وتميل إليها نفوس الشعراء بوجه خاص؟

إنّ الشاعر حسب زعم نزار هو من يدعو إلى حياة جديدة، حياة لا اهتراء فيها ولا ترقيع، فهو ذو عقل براق متحرر يعيش الزمان بطبيعته، لا بطبيعة القرون الميتة، وقلبه حي يعي ما يريده المجتمع ويدعو إليه بحزم وعزم، فيقاومه الخليفة الأبله الميت في زمنه، ميت القلب والعقل، فهو عبارة عن جسد يسير بلا روح، ويقاوم التغيير، وعلامة مقاومته للتغيير أن دفع لمن يأتي برأس الشاعر ألف دينار، فالنقود حسب ظنهم –كما يقول نزار – قادرة على تغيير الواقع، فهو يطلب الرأس إشارة إلى الموت وهذا المعنى معلوم، لكن المراد أن الشاعر مصدر الإلهام لأمته، وهو عقلها المفكر وقلبها النابض؛ لذلك جعله مضافاً للرأس مكان الفكر ومصدر الوعي، فالشاعر يحمل رسالة أمته، و تحمّل العنت والعذاب في سبيل رسالته، ويعيش غريباً في قومه محارباً منهم أو في أحسن الأحوال غير مفهوم منهم[33].

ويرى الشاعر أنّ دعواته لابد ناجحة، وليس هذا المعتقد من باب اليقين، ولكنه من باب التأثير بالمتلقي الذي إن تأكد له نجاح فكرة وطغيانها– حتى وإن كان بعد زمن طويل– فربما يتبناها؛ لأجل ذلك قال الشاعر عن رمزه إنّه سينتهي كأي نكتة، يضحك منها الناس في النهاية، ويتندرون عليه.

إن الخليفة بما يحمل من موروث يابس جامد سيموت، وسيموت معه كلّ الشرق الذي يقتل كل ثائر على قيمه البالية، لكن سيموت الموت وتحيا الحياة، وتكون نهاية الميت كأيّ قصة نهايتها ساخرة.

لقد بات بلاط الخلفاء مصدراً للترف والمجون، فإذا أراد شخص أن يصور الترف المعيش فعليه بقصر الخلافة الذي كان ببغداد التي اتخذت من مكان كسرى مركزاً لها يقول الشاعر: [34]

أتريدين في لحظتين اثنتين
بلاط الرشيد وإيوان كسرى

قافلة من عبيد وأسرى

تجر ذيولك.. يا كيلوبترا..

قد تكون هذه المقطوعة رداً على من تطلب من الشاعر أن يثور باسمها، فيقول لها متسائلاً كيف يكون لي أن اهدم أعرافاً وعادات وتقاليد عاشت قروناً طويلة باللحظتين اثنتين، وآتي لك بعد ذلك بسلب ونهب من بلاط الرشيد وإيوان كسرى؟ فكسرى يمثل أولاً التقادم التاريخي ورمز السلطة العليا في العالم قبل الإسلام، وهو من أول من بنى القصور وزينها، فلماذا يقدم الشاعر هارون الرشيد عليه؟ ألأنه جلس مكانه سلطاناً على الشرق بعد هدم القوة الفارسية في حرب القادسية؟ أم لأنهما يمثلان العقلية القديمة التي لا تقيم أهمية إلا لأهوائها ورغباتها؟ مهما تكون الإجابة فهارون الرشيد يعدّ رمزاً يختلف عن كسرى الذي هدم المسلمون عرشه، وحكموا الناس بطريقة مغايرة لحكمه، فهارون مسلم وكسرى مجوسي، فهما مختلفان، وإن جمعهما المكان لا الزمان.

بعد هذا الصراع الذي دار بين الشاعر ورموز التحجر والظلم، ينطلق ليوجه الاتهام للمكان(الشرق)، لا لأشخاص، والاتهام يكون صراحة على لسان المرأة التي تطلب الحرية فتصطدم بجغرافيا مكان رفض مع قسوته تحررها، وبذلك يكون هذا المكان الذي يحمل فكر أصحابه جميعاً الرمز الثالث الذي اتخذه شاعرنا ليثور عليه، وعلى عاداته البالية يقول الشاعر: [35]

فشرقكم يا سيدي العزيز

يصادر الرسائل الزرقاء

وشرقكم يا سيدي العزيز يصنع تاج الشرف الرفيع

من جماجم النساء

يوجه الشاعر انتقاده للشرق الذي يصنع الفواصل بين الناس، فهناك سيد عزيز وعبد ذليل، ففي الشرق يصنع الشرف من قتل النساء، ومن قتل حرية التفكير في جماجمهن، فالمرأة عندهم مصدر ريبة وخوف من جلب العار؛ لأجل ذلك يضيق عليها وتمنع من ممارسة حقها الذي يريده الشاعر، أما سواه من الأمجاد فلا ذكر له، وإذا فقد فليس بعار؛لأنه لا عار كعار النساء؛لأجل ذلك جعل المرأة تكتب في ظروف قاسية، فهي مراقبة لا تكاد تستطيع أن ترسل نظرها أمامها، فإذا أرسلته فإن بانتظارها السياف ومعاني الشرف والمروءة حتى الطبيعة ترهبها، يقول[36]:

فإنني اكتب والسيّاف خلف بابي

وخارج الحجرة صوت الرياح والكلاب

عنترة العبسي خلف بابي يذبحني إذا رأى خطابي

...

وشرقكم يا سيدي العزيز

يبايع الرجال أنبياء

ويطمر النساء في التراب

لقد نجح الشاعر في هذه اللوحة بتصور مشهد درامي يكاد ينطق، ليس في حديثه عن السياف، بل حينما تحدث عن الرياح التي أصبحت مصدر خوف وقلق وتوتر، فالمرأة الشرقية تعيش في جو من الرعب والخوف حتى باتت الطبيعة بما ترسله من رياح تمثل بصفيرها زمجرة الرجل الذي يقول لها إياك والخروج، ويمزج الشاعر صوت الريح بنباح الكلاب، وربما هذا المزج مقصود، فصوت الرياح وإن كان قوياً مزمجراً، والكلاب وإن كانت مترقبة نابحة، فإن الثورة ستستمر وتحقق ما تريد، ويبقى صوت الريح والكلب خلفها لا يعنيها.

لقد أتى الشاعر برمز القوة والجبروت ليجعله حارساً للعادات والتقاليد الميتة، إنه عنترة مثال الغيرة والبطش الذي إن رأى مطالبتها بالحرية قتلها غيرة وشرفاً[37]، كأنّها ليست مسؤولة عن نفسها وعن مشاعرها، والشرق جميعاً يسانده ويصدقونه، وإذا فعل شيئاً فهو على حق ومصدق، والنساء تدفن في التراب، فإن كانت الجاهلية تدفن من باب الخوف من العار فعلاً ثم أصبحت تدفن خوفاً من الفقر، فإنها الآن تدفن في نفسها، فهي حي لكن لا تستطيع أن تعبر عن أحاسيسها.

نعلم أن الكبت يولد الانفجار والمرأة الشرقية تحذر من هذا الكبت والخنق لمشاعرها، يقول: [38]

لا تنزعج
إذا أنا هربت
من أقبية الحريم في القصور

تحذر المرأة الشرقية الرجل من الانفجار بسبب طغيانه عليها وتسلط بات معه الأمر لا يطاق، فالبقاء في أقبية الماضي بعاداته وتقاليده كما يقول الشاعر ضياع، وهو ليس أقلّ خطرا عن ضياع الخروج من الأصل والذات، فالمرأة المنشودة عند شاعرنا هي الغربية المتحررة من ماضيها أمام أهلها، أما الشرق المسلم فهو شرق الابتذال والعبودية، إنّه شرق الخرافة والثعابين ممثلين بالخلفاء والسلاطين، يقول[39]:

أريد أن أفرّ من شرق الخرافة والثعابين
من الخلفاء.. والأمراء..
من كل السلاطين..
...
أيا شرق المشانق والسكاكين

لقد أصبحت بيئة الشرق مثالاً للخرافات التي تدل على الجهل والتحجر، والثعابين التي تدل أيضاً على الغدر واللدغ، فالشرق مصمم للرجال، فهم خلفاء وأمراء وسلاطين، وكلّ هذه المسميات تحتاج إلى خدم وعبيد، فالمرأة الشرقية هي الخادم والعبد لهذا الوالي ابتداءً من الأسرة وانتهاءً بالخليفة الفعلي، وأي امرأة تحاول الخروج عن هذا العرف فإنّ جزاءها في شرقها المشانق والسكين.

ويستطرد الشاعر وصفاً مقارناً بين عدة رموز للسعادة ليشير إلى أن الحيوانات ربما أصبحت أكثر سعادة من البشر في الشرق؛ لأن السلاطين ربما يحبون الحيوانات فتجدها سعيدة تتنعم بقربهم أما البشر، فربما لا تستطيع رؤيتهم، يقول الشاعر: [40]

أفكر أينا أسعد؟
أنا أم قطنا الأسود؟
أنا؟
أم ذلك الممدد.. سلطاناً على المقعد
سعيد تحت فروته
كرب مطلق مفرد
أفكر أينا حرٌّ
ومن منا طليق اليد
أنا أم ذلك الحيوان

يلحس فروه الأجعد

يصور الشاعر لنا مشهد مقارنة بين الإنسان الشرقي والقط على وجه الخصوص، فيقول :أيّنا أسعد أنا أم قطنا الأسود؟ فالاستفهام الثاني يأخذنا إلى أن إضافة القط إلى جماعة المتكلم إشارة إلى دلاله والاعتناء به، والنعت ربما يدل على صفة مشتركة بينه وبين السلطان، ووظيفة اللوني نفسية تشير إلى التشاؤم وعدم الرغبة فيه، فهل يحبذ أحد منا أن يقتني قطاً أسوداً؟ وإن كان فإن هذا لاشك سيكون جبراً حاله كحال السلطان الذي يأتي جبراً فيحكمنا كما تحكم العادات والتقاليد المرأة.

وهناك علاقة ثانية تدل على أن القط الأسود هو السلطان، فالشاعر يجعل السلطان يجلس ممدداً مسروراً تحت فروته، وبعد ذلك يتساءل أينا أسعد أنا أم ذلك الحيوان، ولا يقول القط، فالنعت هنا ربما إشارة إلى السلطان، وكل سلطان إبتداء من البيت إلى السلطان ، الذي يلحس فروه، فالسلطان يجلس تحت الفرو والحيوان يلحس الفرو، أليست هذا دلالات تشير إلى أن المقصود بالحيوان الأسود هو الخليفة الذي يحكم بشكل مطلق، فلا أحد يستطيع أن يسأله أو يحاوره، إنما كلامه مقدس غير قابل للتغيير أو التبديل.

ربما أراد الشاعر في هذه المقطوعة أيضاً أن يشير إلى حقيقة الفراغ الذي يعيشه السلطان، فهو كالقط المنعم يلحس فروة ويأمر وينهى باسم سلطانه، وهو غير عامل.

وبعد أن تحدث الشاعر عن رموز ثلاثة هي: الخليفة العباسي هارون الرشيد، ثم الخليفة العثماني عبد الحميد، ثم الشرق وربما خص فيه الشرق المسلم عامة، يذهب ليتحدث عن رمز رابع من رموز السلطة والظلم إنه الأب، يقول الشاعر[41]:

أبي صنف من البشر..
مزيج من غباء الترك..
من عصبية التتر..
أبي أثر من الآثار..
تابوت من الحجر..
تهرأ كل ما فيه..
كباب كنيسة نخر..
كهارون الرشيد أبي..
جواريه، مواليه،
تمطيه على تخت من الطرر
ونحن هنا..
سباياه، ضحاياه
مماسح قصره القذر..

يصور الشاعر ظلم أبيه، ولكنه يمارس ظلما على أبيه حينما جعله صنفاً،و الأصناف هذه للحيوان والنبات، ثم يجعله بما يحمل من عادات وتقاليد مزيجا من غباء أمة إسلامية، وعصبية أمة أخرى كانت أصل الأمة الأولى، مع العلم أن العرب هم أهل العصبية، ويستمر في وصف الأب فيقول إنّه أثر وتابوت من الحجارة، كل ما فيه متهرئ، (والتابوت الحجري مكان دفن الموتى عند الرومان)، وبعد ذلك بإمكاننا أن نتخيل ما فيه من تعفن، فالشرقي متعفن بأفكاره و قيمه كتعفن من بالتابوت الحجري، و هو كباب كنيسة نخر، وربما هنا ربط بين الديانة النصرانية التي كان يدين بها الرومان فاهترأت وأصبحت الآن بجديدها مثالاً يدعو إليه الشاعر.

وقد وصف الشاعر أباه بأنّه الخليفة هارون الرشيد من حيث :السيادة له والعبودية والطاعة لغيره، فهو يأمر من حوله من سريره وهم ينفذون ولا يناقشون، حتى أصبح هو الوحيد المتفرد وأهل بيته كالسبايا، ضحايا له ولأفكاره التقليدية، لا بل يجعل من أهل البيت مماسح لقصره، ويصف هذه المماسح بأنّه قذرة، وربما يكون الوصف هذا إثارة للناس كي لا يبقوا على حالهم، فلا بد للإنسان أن يتحرر ويتغير بتغير الأيام، فهو يثور على الفكر القديم الذي تلقاه في الكتاتيب؛لأنّه يريد تغيير مبادئ وتعليم الشرق كما غيرت الكنيسة المبادئ والتعاليم المسيحيّة، فنجحت، يقول: (42)

حين كنا في الكتاتيب صغاراً
حقنونا.. بسخيف القول.. ليلاً ونهارا
درّسونا :
ركبة المرأة عورة
ضحكة المرأة عورة
صوتها..
من خلف ثقب الباب عورة
صوروا الجنس لنا..
غولاً.. بأنياب كبيرة

تمثل هذه المقطوعة بتنوعاتها حقيقة التقدم الذي هو ضد التحجر الذي نعت به أباه قبل قليل، فالتخلف ممثل بالمدرسة وبأفكار المدرسين الذين يملؤون رؤوس التلاميذ بأنّ المرأة عورة، والعورة التي يريد تمثيلها الشاعر هي كل المرأة بهيئتها ومضمونها، ليثبت أن الذي يذهب إليه من تخلف الأمة في فكرها صحيح ويحتاج إلى تغيير، وأول شيء ينبغي تغييره لاشك هو النظرة إلى المرأة، وتصحيح بعض الأفكار حول الجنس، لتتبين حقيقة دعواه من ذم الماضي و التغني بالنصرانية.

وأخيراً يوجه الشاعر رسالة إلى أقرب امرأة من رموز الاستبداد إلى زوجة الخليفة علّها تكون عوناً له، علّه ينجح في دعوته،ويحصل على ما يريد من حرية، يقول(43):

يا زوجة الخليفة
لا يفهم الحراس ما قضيتي
يا زوجة الخليفة
رسائلي إليك.. يرفضونها

يتوجه الشاعر بالنداء إلى زوجة الخليفة، ليخبرها بأن حراس الإرث القديم لا يفهمون دعواه، فهو يريد الشرق بإرثه لكن يطالب بالتجديد والتغيير اللذين تأثر بهما نتيجة الاتصال بالثقافة الغربية, فانعكست آثاره على مضمون الشعر وشكله(44)، ويختم بالتأكيد على فكرة الدعوة للحرية ورفض الطرف المقابل لها، فهو يريد أن يطمس الحدود التي وضعت للاختلاط بالنساء, وهذا هو الباب الذي يدعو إليه الشاعر. ولكن يجب التأكيد على أنّ دعوة الشاعر للتحرر جانبها كثير من الصواب ، وقد تمثّل في اتهامه للشرق وتعاليمه ورموزه بالتخلف والرجعيّة، وهذا لا نتفق فيه مع الشاعر ،إذ فيه ظلم وتحامل ،ولكننا عرضنا في هذا البحث رؤية الشاعر مع تحفظنا عليها.

الهوامش:

([1]) عبد الرحمن شكري، دراسات في الشعر العربية، جمعها وحققها وقدم لها: محمد رجب البيومي، الدار المصرية اللبنانية، 1958م، ص 266.
([2]) انظر الشعراء الآيات، 224، 225، 226، 227.
([3]) انظر: حبيبة محمدي، القصيدة السياسية في شعر نزار قباني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م، ص 31. وفيما يتعلق بقادة العرب قديماً وحديثاً ينظر: ميرفت دهان، نزار قباني والقضية الفلسطينية، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 2002، ص 193- 194.

([4]) انظر: إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشرق للنشر والتوزيع، عمان، ط 3، 2001، ص 113.
([5])نزار قباني،الأعمال الشعرية الكاملة،منشورات نزار قباني،بيروت،لبنان،ط12،1983 مج 1، ص 29،

([6]) الأعمال الشعرية الكاملة، مج 1، ص 48.
([7]) انظر: عمر الدسوقي: نشأة النثر الحديث وتطوره، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 5- 6.
([8])الأعمال الشعرية الكاملة ، مج 1، ص 49.
([9]) الأعمال الشعرية الكاملة، ج 1، ص 49.
([10]) الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، إحياء التراث العربي، بيروت، ج4، ص175
([11]) النساء، 25.
([12]) الأعمال الشعرية الكاملة، مج1، ص 128.
([13]) نضال نصر الله، نزار قباني وقصائد كانت ممنوعة في السياسة والدين والجنس، الأوائل، دمشق، 2003، ص 31، وانظر كذلك ص 19.

([14])الأعمال الشعرية الكاملة ، مج1، ص 156.
([15]) الأعمال الشعرية الكاملة، مج1، ص 226.
([16]) الأعمال الشعرية الكاملة ، مج1، ، ص227.
([17]) إيمان يوسف البقاعي، نزار شاعر فوق الماء، دار الفكر اللبناني، بيروت، 2003م، ص 193.

([18])الأعمال الشعرية الكاملة ، مج 1، ص 511.
([19]) الأعمال الشعرية الكاملة، مج 1، ص 547.
([20])المرجع السابق، مج 1، ص 547.
([21]) الأعمال الشعرية الكاملة، مج 1، ص 613.
([22]) الأعمال الشعرية الكاملة، مج 1، ص 744.
([23]) لرؤية نظرة المرأة لشعر نزار، ينظر: إيمان يوسف البقاعي، نزار شاعر فوق الماء، ص 11.

([24]) انظر: عبد الرحمن محمد الوصيفي، نزار قباني شاعراً سياسياً، دار الفكر الحديث، القاهرة، ط 2، 2002، ص 445.
([25]) الأعمال الشعرية الكاملة، مج 1، ص 506- 507.
([26]) الأعمال الشعرية الكاملة، ج 1، ص 465.
([27]) انظر: حبيبة محمدي، القصيدة السياسية في شعر نزار، ص 31.
([28]) المؤمنين،6.

([29]) وهب رومية، الشعر والنقد، عالم المعرفة، ع331، سبتمبر، 2006، ص25.
([30]) الأعمال الشعرية الكاملة، مج 1، ص 344- 345.
([31]) الأصفهاني، الأغاني،تحقيق:علي محمد البجاوي،الهيئة المصرية العامة،1992،ج5،ص164 ، وشوقي ضيف، العصر العباسي الأول،دار المعارف،مصر،ط6، ص58
([32]) الأعمال الشعرية الكاملة، مج 1، ص 508.

([33]) نقلاً عن:عبدالرحمن محمد الوصيفي,نزارقباني شاعراً سياسياً,ص405.
([34]) الأعمال الشعرية الكاملة، مج 1، ص 516.
([35]) الأعمال الشعرية الكاملة، مج 1، ص 576.
([36]) الأعمال الشعرية الكاملة ، مج 1، ص 577.
([37]) لرؤية حال المرأة وسلطة الرجل عليها ينظر:كتب الكترونية ,قاسم أمين، تحرير المرأة، **www. kotobarabia.com** ,ص19-20، وانظر: أنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1982، ص255-256.
([38]) الأعمال الشعرية الكاملة، مج 1، ص 578.
([39]) الأعمال الشعرية الكاملة، مج 1، ص 579.
([40]) الرجع السابق، مج 1، ص 602- 603.
([41]) الأعمال الشعرية الكاملة، مج 1، ص 608.
([42]) الأعمال الشعرية الكاملة، مج 1، ص 659.
([43]) الأعمال الشعرية الكاملة، مج 1، ص 699.
([44]) انظر: شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، مصر، ط 7، ص 7.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم .
- إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشرق للنشر والتوزيع، عمان، ط3 ، 2001.
- الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، الهيئة المصرية العامة، 1992.
- أنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية، دار العلم للملايين ، بيروت، ط 7، 1982م.
- إيمان يوسف البقاعي، نزار شاعر فوق الماء، دار الفكر اللبناني، بيروت، 2003م.
- الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، إحياء التراث العربي، بيروت.
- حبيبة محمدي، القصيدة السياسية في شعر نزار قباني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م.
- شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، مصر، ط 7.
- شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، ط 6.
- عبد الرحمن شكري، دراسات في الشعر العربية، جمعها وحققها وقدم لها: محمد رجب البيومي، الدار المصرية اللبنانية، 1958م.
- عبد الرحمن محمد الوصيفي، نزار قباني شاعراً سياسياً، دار الفكر الحديث، القاهرة، ط 2، 2002.
- عمر الدسوقي: نشأة النثر الحديث وتطوره، دار الفكر العربي، القاهرة.
- كتب الكترونية ,قاسم أمين، تحرير المرأة، www. kotobarabia.com
- مرفت دهان، نزار قباني والقضية الفلسطينية، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 2002.

- نضال نصر الله، نزار قباني وقصائد كانت ممنوعة في السياسة والدين والجنس، الأوائل، دمشق، 2003.
- نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، لبنان، ط 12، 1983م.
- وهب رومية، الشعر والنقد، عالم المعرفة، ع331، سبتمبر، 2006.